رسائل القاضي الفاضل
دراسة أسلوبية

د. باسم نـاظم سليمان
مدرس
جامعة كركوك/ كلية التربية

ملخص البحث

إن الرسائل من الفنون الأدبية النثرية البارزة في الادب العربي ، وذلك لأهميتها الادبية والتاريخية وجمال اسلوبها وما فيه من كنوز بلاغية، وصيغ تعبيرية ؛ فكان هذا من اسباب دراستي للموضوع وفق المنهج الأسلوبي . تتكون خطة البحث من تمهيد واربعة مباحث ، خصص التمهيد لبيان سيرة القاضي الفاضل ، ومفهوم الاسلوبية ، والرسالة مع نبذة مختصرة عن رسائله . درست في المبحث الاول الجانب الايقاعي ، وفي المبحث الثاني الجانب الدلالي، وفي المبحث الثالث الجانب التركيبي ، وفي المبحث الرابع الجانب البلاغي . ثم انهيت البحث بخاتمة أوجزت فيها أبرز النتائج .

من نتائج البحث شيوع السجع في رسائل القاضي الفاضل ، ومن سماته التصنع وطول الجمل المسجوعة . ومن السمات الاسلوبية تكرار صيغة الدعاء أدام ، والفعل الماضي الناقص كان والحرف إن .

أما العرض فمن سماته الوضوح والتوسط في الحجم ، وتبيان سبب ارسال الرسالة الى المرسل اليه . وتختتم اغلب الرسائل بالصيغة إن شاء الله ، وأكثر الكاتب من الصور التشبيهية والاستعارية والكنائية والاقتباس من القرآن الكريم .

التمهيــد

١- سيرة القاضي الفاضل (٥٢٦هـ - ٥٩٦هـ) .

هو (عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل وزير من أئمة الكتاب . ولد بعسقلان – بفلسطين – وانتقل الى الاسكندرية ثم الى القاهرة وتوفي فيها . كان من وزراء السلطان صلاح الدين ومن مقربيه ولم يخدم بعده أحدا . قال بعض مترجميه : كانت الدولة بأسرها تأتي الى خدمته . وكان السلطان صلاح الدين يقول : لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل . وكان سريع الخاطر في الانشاء كثير الرسائل . قيل : لو جمعت رسائله وتعليقاته لم تقصر عن مئة مجلد وهو مجيد في أكثرها . وقد بقي من رسائله مجموعات منها ترسل القاضي الفاضل . ورسائل انشاء القاضي الفاضل . والدر النظيم في ترسل عبد الرحيم . ولابن سناء الملك كتاب فصوص الفصول وعقود العقول . أكثره من أنشاء القاضي الفاضل) (١) . وصفه البغدادي أنه كان (ضعيف البنية رقيق الصورة له حدبة يسترها الطيلسان نزيهـا عفيفا قليل اللذات كثير الحسنـات دائم التهجد) (٢) .

٢- الأسلوب والأسلوبية :

الأسلوب هو طريقة الاديب في كيفية توظيف اللغة للتعبير عـن المعاني . لذلك قيل : (اسلوبك هو أنت وهو فريد مثل بصمات أصابعك) (٣) . لأن لكل اديب طريقة في التعبير اللغوي تميزه عن غيره من الادباء لاختلاف الرؤى فـ (الاسلوب هو الرجل إذ لا يوجد شخصان ينظران الى الاشياء نظرة واحدة وتفكيرهما واحد وان كل كاتب في الوجود يضفي شيئاً من شخصيته ولون

روحـه ومشـاعره علـى مـا يكتـب) [٤] . وقد عنـي النقد العربـي القديم بالأسلوب ، اذ تطـرق اليـه الجرجاني واسماه النظم (فليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلاث : اسم ، فعل ، وحرف) [٥] . كما تحدث ابن قتيبة عن اسلوب الشاعر في صياغة الكلام اذ وجده اربعة اضرب : (ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه ... وضرب منه حسن لفظه وحلا فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ... وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ... وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه) [٦] .

أمـا الأسلوبية فهي منهج نقدي يخضع النصوص للتحليل والدراسة انطلاقاً من اسلوب الكاتب عبر المستوى التركيبي والايقاعي والبلاغي والدلالـي فالأسلوبية (علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي أو الادبي خصائصه التعبيرية والشعرية فتميزه عن غيره. انها تتحرى الظاهرة الاسلوبية بالمنهجية العلمية اللغوية وتعتبر الاسلوب ظاهرة هي في الاساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاتها (...) اذ تريد الاسلوبية اليوم ان تكون علمية تقريرية تصف الوقائع وتصنفها بشكل موضوعي منهجي بعد ان كانت البلاغة كما رأينا تدرس الاسلوب بروح معيارية نقدية صريحة) [٧] .

وفي النقد الغربي سارت الاسلوبية نحو اتجاهات عدة : فالاتجاه الاول الاسلوبية التعبيرية أو الوصفية ، وظهرت على يد الالسني السويسري شارل بالي فاستند على (الطابع العاطفي للغة أو الجانب الوجداني للكلام وارتباطه بفكرتي القيمة والتوصيل . فالمتحدث يحاول أن يترجم ذاتية تفكيره ثم يتولى الاستعمال الشائع تكريس هذه اللفتات التعبيرية ودراسة المضمون الوجداني للكلام هو موضوع الاسلوبية عند بالي) [٨] .

أما النمط الثاني من الدراسة الأسلوبية فهو الأسلوبية البنيوية التي ظهرت على يد ريفاتير و (تهدف الى تمكين القارئ من ادراك انتظام خصائص الاسلوب الفني ادراكاً نقديا مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظيفية وغايتها تخليص النقد الأدبي من المقاييس الخطابية والجمالية) [٩] .

وأوجد شبتزر منهجا آخر هو الاسلوبية الفردية (الذي يعتمد على التذوق الشخصي ولكنه يحرص على أن يعكس المثيرات التي تصل من النص الى القارئ ويحاول أن يحدد نظام التحليل على هذا الأساس لهذا يطلق عليه اسم منهج الدائرة الفيلولوجية ويتم تطبيقه على مراحل متعددة فالقارئ مضطر لان يطالع النص ويتأمله حتى يلفت نظره شيء في لغته . هذا الشيء يعد خاصية يتم التوصل اليها بالحدس إذ يهدينا الى اهميتها الاسلوبية في النص ثم يتم اختبارها مرة اخرى بشكل منتظم من خلال قراءة جديدة تدعمهـــا شواهد اسلوبية أخرى) [١٠] .

٣- رسائل القاضي الفاضل :

إنّ الرسالة من الفنون النثرية التي يبثها الكاتب – المرسل - الى شخص – مرسل اليه - لغرض من الاغراض التي ينوي الكاتب الافصاح عنها في رسالته فهي (فن التخاطب بلسان القلم معبراً عن شؤون خاصة او عامة ، وغالبا ما تكون حديثا موجها من شخص الى آخر ليبثه نجواه أو يستفسر عن أحواله بسطور معدودة ينطلق فيها الكاتب على سجيته دون تصنع أو تأنق وقد يتوخى فيها الغوص على المعاني الدقيقة وتحريك المشاعر فيرتفع الى مستوى أدبي رفيع) [١١] .

وموضوع الرسالة واسلوبها يتبايـن بحسب المرسل اليه وثقافته ومكانته وبحسب المقام والموقف فمن شروط الرسالة (مراعاة مقتضى الحال وأن يكون لكل مقام مقال فالتمييز شرط أساسي (كذا) بين شخص وآخر فالكـلام الموجه الى صغير يختلف عن الموجه الى الكبير ، وكذلك الكلام الموجه الى المثقف يختلف عن الكلام الموجه الى جاهل . من هنا يفترض أن تكون الالفاظ سهلة ومألوفة وخالية من التعقيد والغموض لئلا يقع الملل في نفس المرسل اليه فالوضوح والإيجاز يكسوان الكلام رونقاً وإشراقا) [١٢] .

يبلـغ عدد رسائل القاضي الفاضل مئة وعشر رسائل يمكن تقسيمها وفق الانـواع الآتية :

١- رسائل سياسية :

صورت الاحداث التي وقعت في الفترة التي شهد فيها العالم الاسلامي تغيرات سياسية كبيرة اهمها ظهور صلاح الدين الايوبي في مصر وقضاؤه على الدولة الفاطمية وإعادته الخطبة للخلافة العباسية وتوسيع اركان دولته التي شملت بلاد الشام ومصر والجزيرة واليمن . ورأى القاضي الفاضل أن السبيل الى تحقيق وحدة كلمة المسلمين وإنهاء الاحتلال الصليبي لن يتحقق إلا عن طريق اعلان مبادئ الجهاد [١٣] .

٢- رسائل اخوانية :

هي الرسائل التي ارسلها القاضي الفاضل لأصدقائه من العلماء والفقهاء والخطباء والقضاة والكتاب والشعراء ويبلغ مجموعها اكثر من ثماني عشرة رسالة والتي تضمنت موضوعات في الادارة والاجتماع والثقافة [١٤] .

٣- رسائل وصفية :

وتضمنت وصف المعارك والحروب والقتلى وأدوات الحرب [١٥] .

المبحث الاول :الجانـــب الايقاعـــي

ينبعث الايقاع في النثر عبر الالفاظ المتجانسة والحروف المتماثلة والكلمات المتشابهة من حيث الوقع والوزن وتنقل الى السمع انسجاماً جميلا ، فالايقاع هو (التواتر المتتابع بين حالتي الصوت والصمت او النور والظلام او الحركة والسكون او القوة والضعف او الضغط واللين . والايقاع صفة مشتركة بين الفنون جميعاً تبدو واضحة في الموسيقى والشعر والنثر الفني والرقص) [١٦] . ويختلف ايقاع النثر عن موسيقى الشعر التي يكونها الوزن والقافية فيتكرران من مطلع القصيدة حتى خاتمتها ، واستنادا على ذلك ينبغي (أن يكون للانشاء النثري ايقاع لا وزن وإلا أصبح شعرا ولكن يجب ألا يكون الايقاع مرتبا بإحكام أو بعبارة أخرى ألاّ يذهب به المرء الى مدى بعيد) [١٧] .

يعـــد السجع من أبرز الفنون الايقاعية الطاغية في رسائل القاضي الفاضل فلقد (احتفظ السجع لمدة طويلة بالارتباطات الدينية التي كانت له في الجاهلية والتي أصبحت مقدسة للمسلمين جميعاً في القرآن وقد بدأ حوالي منتصف القرن التاسع للميلاد – الثالث للهجرة – بالظهور في خطب الخلفاء وعمالهم وقد تطور اكثر على يـد وعاظ محترفين) [١٨] .

ورد السجع في رسالة القاضي الفاضل الموجهة الى نور الدين محمود بن زنكي من مصر عن صلاح الدين كقوله (ومهما اجتهد فيه غاية الاجتهاد وعده من أعظم أسباب الجهاد ترحيل كثير من أنفارهم والحرص في تبديل دارهم الى أن صار العدو اليوم إذا نهض لا يجد بين يديه دليلاً ولا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً (...) ولو أن المولى خلى لهم اقليما (...) يقطعهم عن الكفر وبلاده ويبعدهم عن تكثير سواده لكان في ذلك قد أحسن فعلا وحمل عن المسلمين ثقلا فكيف وهؤلاء العربان يخدمون في البلاد خدمة من عرف موالجها وخبر طرقها ومناهجها (...) ومنهم جماعة العبادين وقد ضمن لهم قبول إنابتهم وتعجيل إثابتهم والاحسان اليهم باقطاع والنظر لهم باصطناع وأن لا تشمت بهم من أقام وشرقوا وكذب في الاسلام وصدّقوا) [١٩] .

يتجلى ايقاع السجع بين كلمتين كالآتي :

اجتهاد ------ جهاد
انفارهم ------ دارهم
دليلا ------ سبيلا
بلاده ----- سواده

فعــلا ----- ثقــلا
موالجها ----- مناهجها
انابتهـم ----- اثابتـهم
اقطاع ----- اصطناع
شرقوا ------ صدقوا

ويتجلى السجع في رسالة القاضي الفاضل الى الديوان العباسي : (أدامَ الله ايام الديوان العزيز إدامة تشارك النجوم في اعمارها وتملأ سائر القلوب بمسارها ونِعَمُ الله تعم صفحات الأيدي بمبارها وترفع منار الحق وتُعليه وتأخذ حق الاسلام وتعديه وتبوح بأسرار النصر الى النصل وتبديه وتقوم بحقوق استخلاف الله وتؤديه وتحوط بالشرع الشريف من جوانبه وتصون رداء المُلك من جواذبه وتصفي مورد السعود من شوائبه وتسدي الى نحور الكفر ما يقصده من سهام التدبير وصوائبه وتجني الى العتبات الشريفة ثمرات الخواطر وتجبي لها مسرات البشائر وتتنافس في الاستقرار بها مُنافسة النظائر بل الضرائر) (٢٠) .

يتضح ايقاع السجع بين ثلاث كلمات واربع كالأتي : -

أعمارها --- مسارها --- مبارها
تعليه --- تعديه --- تبديه --- تؤديه
جوانبه --- جواذبه --- شوائبه --- صوائبه
الخواطر --- البشائر --- النظائر --- الضرائر

ووظف القاضي الفاضل السجع في رسالة الى الامراء بدمشق فقال : (نُشعر الأمراء الأجلاء بما منّ الله به من فتح نصيبين سِلما بغير قتال وسهلاً بغير نضال ونزولا على حُكمنا بغير نزال وانقيادا الى نظرنا بغير مناظرةٍ ولا جدال (...) ووردتنا الملوك طائعة ولقيتنا بعساكرها مسارعة وكاتبتنا خاضعة ضارعة (...) ومعنا من العساكر المصرية من طال بيكاره وقل مع المشقة اعتذاره وسار فأبعده المسير وخدم فأحسن في الخدمة التأثير ولم يجر منه في شيء مما يلزمه ولا مما لا يلزمه تقصير) (٢١) .

يتجلى ايقاع السجع بين الكلمات الآتية :

قتال --- نضال --- نزال --- جدال
طائعة --- مسارعة --- خاضعة --- ضارعة
بيكاره --- اعتذاره
المسير --- التأثير --- تقصير

فلقد لجأ الى السجع بين كلمتين وثلاث وأربع كلمات .

كما ورد السجع في رسالته التي يبشر فيها بفتح حطين : (وتلاطم البحران وتصادم المجران واضطرم الجمران وقرع النبع بالنبع واختلط الجمع بالجمع وضرب النقع ليلا عُزلت فيه ولاية النظر بولاية السمع فلا يُسمع إلا صليل صوارم فصحه لا يُجمجِم في الجماجم بصفحةٍ لا تُثني في حز الغلاصم وإلا صهيل صلادم زعيمه بصلصة رعد ما انشأه عجاجُها من الغمائم . ولما أُحيط بالقوم آوى ملكُهم الى جبل يعصمه من العوم فأسمعه السيف لا عاصم اليوم (...) وسرنا الى عكا التي هي بيضة ملكهم ومركز دائرة كفرهم ومجتمع جمع برَّهم وبحرهم فتسلمناها بالأمان ولاذ اهلها بعصمة الايمان والصخرة المقدسة الآن بنا تستصرخ وتستغيث فالتوحيد قد بطُلَ به التثليث وعبادُ الله الصالون قد وصــل اليهم بوعد الله الصادق المواريث والبشارة بفتح القدس لا تتأخر والهمم عند هذا الفتح السنــي على ذلك تتوفر) (٢٢) .

ينحصر ايقاع السجع بين الكلمات الآتية :

البحران – المجران – الجمران
نبع – جمع – نقع – سمع

غلاصم – صلادم – غمائم
عوم – يوم
ملكهم – كفرهم – برهم – بحرهم
أمان – ايمان
تستغيث – تثليث – مواريث
تتأخر – تتوفر

فمن سمات الحقل الايقاعي في رسائل القاضي الفاضل الاكثار من السجع ويبدو فيه التصنع والتكلف وطول الجمل المسجوعة إذ أنه يوظف السجع بــين كلمتين وأكثر فلا بأس (أن يكون السجع في الكلام كالملح في الطعام فإنه متى ظفر منه بمقدار الرتبة وحسب الكفاية حلا منظره وبهر بهاؤه وسطع نوره وانتشر ضياؤه ومتى زاد على المقدار ضارع كلام النّسَأة والكهنة من العرب او كلام المستعربين من العجم) (٢٣) .ويحقق السجع وظيفتين: الاولى جمالية شكلية ، والثانية تعبيرية غرضها إيصال المعنى بقالب جميل منسجم يدل على مقدرة المرسل البلاغية في اثارة المتلقي ؛ (فالادب في السجع مادة اخبار ومادة اعتبار وموضوع تنصيص وموضوع تحسيس وهو بالجملة كلام بايقاع في معنييه : الايقاع بالاصوات والايقاع بالمتلقي والزج به في نظام النص)(٢٤) . إن ايقاع السجع له دور واضح وكبير في المتلقي لما يتحقق فيه من انسجام نغمي (وهذا الايقاع هو سمة السجع الغالبة وجوهره الفني الذي يجعل اليه النفوس أميل والاذان لسماعه أنشط) (٢٥) وبالرغم من وظيفة السجع الجمالية الا أنه يمثل قيدا يضعف حرية الكاتب في التعبير .

ومــن السمات الاسلوبية في الحقل الايقاعي الاكثار من الجناس والكلمة مشتقة من الجنس (يقال تجانس الشيئان إذا دخلا تحت جنس واحد ويقال كلمتان متجانستان أي شابهت احداهما الاخرى فكأنه قد وقع بينهما مجانسة وحكي عن الخليل : هذا يجانس هذا أي يشاكله)(٢٦).

يقول القاضي الفاضل في أحدى رسائله : (توجهنا الى آمد بعد ان ولانا الاعداء ظهورا وأولانا الله نصرا وظهورا) (٢٧) . فقد حقق الايقاع بين كلمتي ظهوراً نغما متتابعا ومتشابها مع اختلاف المعنى ففي الحالة الاولى يعني الظهور الهروب والهزيمة في ساحة المعركة أما الثانية فتعني الغلبة وبروز المنتصر .وعبر في رسالة اخرى مُبشرا بفتح حطين وساخرا من الاعداء الذين (استولى الخذلان عليهم بأسرهم وبردت أيـدي المؤمنين بحر قتلهم وأسرهم) (٢٨) . يتضح الجناس بين كلمة اسرهم الاولى والتي تعني أجمعهم واسرهم الثانية وتعني وقوعهم في الأسر . وذكر في رسالة أخرى (إن عز اول الاسلام يحُطُّ تاج فارس ، فكم حطت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس) (٢٩) . إذ قصد بتاج فارس في الجملة الاولى ملك الفرس اما في الثانية فيعني اندحار فرسان الفرنج وسقوطهم في ساحة المعركة خاسرين مندحرين .

كما أكثر الفاضل من توظيف الجناس غير التام كقوله في كتاب عن صلاح الدين من مصر الى بعض امراء الشام عند وفاة نور الدين : (فلله هو من مُصاب أغرى العيون بفيضها والنفوس بغيظها) (٣٠) فإنه جانس بين كلمتي بفيضها وبغيظها . وقال في رسالة أخرى : (ولم نخرج من مصر الى أن وصلتنا رسله في جمعة واحدة بكتابين كل واحد منهما يُظهر فيه خفض الجناح والقاء السلاح والانتقال من معاداة الى مهاداة ومن مناضحة الى مناصحة) (٣١) . ينبعث الايقاع من الكلمات المتجانسة مثل: معاداة – مهاداة – مناضحة – مناصحة . ومن بواعث الجمال في ايقاع الكلمات المتجانسة (١- التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا تطرب له الآذان وتهتزله القلوب فتتجاوب في تعاطف مع اصداء بنيتها ... ٢- ما يحدثه الجناس من المفاجأه وصراع الافكار واختلاب الاذهان اذ يتوهم السامع أن اللفظ مردد والمعنى مكرر وأنه لن يجني منه سوى التطويل والسآمة) (٣٢) .

ومن أنماط الايقاع الواردة في رسائل القاضي الفاضل التكرار ، إذ يلفت انتباه المتلقي لما يبعثه من ايقاع متتابع ومتشابه يجلب عناية السامع ويثير دهشته فضلا عن التأكيد على الموضوع

الذي يتحدث عنه الكاتب فيكرر لفظة ، أو عبارة ، أو حرف (ونتيجة لميل الشعراء والكتاب الى إضفاء الموسيقي في تعبيرهم استخلصنا من ذلك ان التكرار والتجنيس من أهم الاركان التي تظهر الجرس بين الالفاظ كما كانت القافية لازمة لنغمة البيت يرددها الشاعر في جميع قصيدته ومثلها السجعة في النثر) (٣٣) .

يشكل تكرار قسم من الصيغ والاساليب ظاهرة ايقاعية تلفت الانتباه في رسائل القاضي الفاضل فمن صور التكرار اللفظي تكرار صيغه النفي لا في قوله : (وكم بين من يُحارب الكفر ويحمل اليهم قواصم الآجال وبين من يتخذهم بطانة دون المؤمنين ويحمل اليهم كرائم الأموال وبين بعيد من دار الخلافة المعظمة يفترض الطاعة ويستفرغ في مراضيها الاستطالة ولا يحل ولا يعقد إلا بمراشدها ولا يقوم ولا يقعد ألا بمراصدها ولا يصدر ولا يورد إلا من مصادرها ومواردها وبين آخر يدعي أنه أقرب جيرانها ولا يُمت بل لا يموت إلا بعصيانها ويخطب لأهل الخلاف ويجهر بأسمائها وينشر في ولايته راية أعدائها) (٣٤) . فلقد تكررت اداة النفي – لا – ثمان مرات .
وقال في رسالة أخرى : (ونحن نهنئ المجلس السامي بظفره وما شمل الاسلام من حسن نظره ولم لا يشكره شكر العجلة وليس لقتل هؤلاء الكفار مراجعة ولا للشرع في ابقائهم فسحة ولا استبقاء أحد منهم مصلحة ولا في التغاظي عنهم عند الله عذر مقبول ولا حكمُ الله عند اهل العلم مشكل ولا مجهول) (٣٥) . إذ تكررت اداة النفي لا ست مرات في النص . وقال في رسالة اخرى : (أدام الله ايام المجلس العالي ولا خلت منه أوطان السلطان ولا زال مذكوراً بلسان الاحسان ولا برحت يده العالية مصرفةً لزمام الزمان ولا فني فِناهُ حَرَما حلال الصيد حرام الحرمان ولا انفكّ كل مكان يحضره في سبيل مكان إمكانٍ) (٣٦) . فلقد تكررت اداة النفي – لا – خمس مرات مولدة كثافة ايقاعية في حيز النص (ولا ينبغي أن ننسى أن كل تكرار مهما يكن نوعه تستفاد منه زيادة النغم وتقوية الجرس) (٣٧) . إن في التكرار نغم متدفق ينقل الى السمع ايقاعاً منتظما (كالكلمات المكررة بضابط الايقاع بين العازفين) (٣٨) .

ومن بواعث الايقاع التوازي وهو (مفهوم ألسني بلاغي يتعلق ببنية العبارة ودلالتها والخصوصية الاساسية له انه تناظر بين جمل العبارة يقوم على استعادة مخطط السني واحد اسمي أو فعلي) (٣٩) . ومن وظائف التوازي اثارة السمع لدى المتلقي بوقع متناسق أنيق ومنح الحيوية والتجديد لشكل النص فإذا (كان التوازي يساهم في الاتساق من خلال استمرار بنية شكلية في سطور عدة فإنه في الوقت نفسه يمنح فرصة لتنامي النص وذلك بإضافة عناصر جديدة) (٤٠) .

ورد التـوازي في قول القاضي الفاضل : (والحمد لله انجز وعده في الارض لصالح عباده وألهم بطاعته من أيقظه لزاد معاده وأنهضـنا من دعاء الشيخ الامام قطب الدين بسلاح صلاح لا يُفلّ صوارمه وجناح نجاح لا يكلُّ قـوادمه) (٤١) . يتجلى اسلوب التوازي في قوله : بسلاح صلاح لا يُفلّ صوارمه وجناح نجاح لا يكلُّ قوادمه ففي الجملتين تناسق ايقاعي وايحائي ومن حيث البناء والتركيب والحركة إذ يتكونان من الصيغة الآتية :
حرف جر – الباء + اسم مجرور – سلاح وجناح + مضاف اليه – صلاح ونجاح + اداة نفي لا + فعل مضارع مرفوع – يُفل ويكلُ + فاعل – صوارُمه وقوادُمه .

كما وظف القاضي الفاضل التوازي في قوله : (هي أغزرُ سحائبه ديمةً واوفر مواهبه قيمة (...) المانحة لصوب الصواب ، الكاسية بثوب الثواب) (٤٢) .

ففي هذه الجمل المتتابعة انسجام صوتي وايحائي وايقاعي إذ تتكون من الصيغة الآتية .

خبر – أغزر واوفر - + مضاف اليه – سحائبه ومواهبه + تمييز – ديمة وقيمة.

مضاف اليه – المنانحة والكاسية + جار ومجرور – لصوب + بثوب + مضاف اليه الصواب + الثواب .

كمـا ورد التوازي في قوله : (لا زال لذخائر الحمد مقتنيا ولقواعد المجد متبينا)(٤٣) .
ورد التوازي في جملتين متماثلتين ايقاعا وايحاءاً إذ تكونتا من :

جار ومجرور – لذخائر ولقواعد + مضاف اليه الحمد والمجد + حال – مقتنيا ومتبنيا.

فإن التوازي (سمة ايقاعية قلما يخلو أي شعر منها وتتجاوز الشعر الى كثير من صيغ الخطاب الاخرى من مثل النثر والخطابة والنصوص الدينية القرآن الكريم مثلاً) (٤٤) .

المبحث الثاني :الجانب الدلالي

ونبحث في الجانب الدلالي عن الحقول المعجمية التي تندرج ضمن نسق مشترك فعلم الدلالة (ليس علما بلاغيا أنه علم لغوي بحت يركز على تحليل معنى الكلمة او العبارة او الجملة من وجهة لغوية صرفة وعلى اكتشاف اوسع العلاقات بين الوحدات اللغوية المختلفة ويحاول ايضاً اضفاء أكبر قدر ممكن من الموضوعية على دراسة المعنى الأمر الذي يجيز اعتباره متمما لعلم المعاني وليس بديلا عنه) (٤٥) . وتنقسم الدلالة على أنواع عدة : كالدلالة الصوتية ، والدلالة الصرفية ، والدلالة الاجتماعية ، والدلالة المعجمية . وسنقتصر في هذا المبحث على الجانب الدلالي فان (علم المعنى – علم الدلالة – لا تناسبه هذه المفاهيم النحوية ويحتاج الى مفاهيم دلالية تعتمد على معنى الكلمة ودورها في معنى الجملة وليس على الحالة التي تشغلها) (٤٦) .

١- معجم الحرب وأدواته :

يشكل الحقل الحربي نَسقا بارزا في رسائل القاضي الفاضل مثل الحقل الدلالي الخاص بمستلزمات الحرب كالأسلحة المستعملة في القتال . قال القاضي الفاضل في احدى رسائله : (ونقلت نوبة القتال من الرمح الى السيف وهناك النقل وفتحت أبواب الآجال وكان ذلك السيف المفتاح هو القفل (...) وصرعت للفرنج أبطال وخيالة وتمت الحملة الإسلامية على من كان وراء ظهورهم من الرجالة فجذوا بالاودية والقيعان وغودروا صرعى لولا صرعتهم نار جابها الجبلان فأخذ القتل كثيرا وقليلاً ترك وفرّ الروح الكافر من الجسد وعلمت النار أنه سلك والجأهم البلاء الى حصن يُعرف بعفر بلى وسَّع الخندق عليهم ما هو ضيق وتعلق بالحياة منهم من هو به متعلق ولم تنصرف صدور الخيل دون أن اعتقلتهم في سجنه والزمتهم به فصاروا قرُطا في أذنه) (٤٧) .

يمكن حصر الالفاظ ذات الطابع الحربي ضمن الحقل الدلالي الآتي :

القتال : مصدر للفعل قتل و (يدل على إذلال وإماتة) (٤٨) .

الرمح : من أدوات الحرب والقتال

السيف : من ادوات الحرب والمبارزة (يدل على امتداد في شيء وطول من ذلك السيف سمي بذلك لإمتداده) (٤٩).

خيالة : الخيل تدل اللفظة على الحركة (وسمعت من يحكي عن بشر الاسدي عن الاصمعي قال : كنت عند ابي عمرو بن العلاء وعنده غلام أعرابي فسئل أبو عمرو : لِمَ سميت الخيل خيلا ؟ فقال : لا أدري فقال الاعرابي : لاختيالها ، فقال أبو عمرو : اكتبوا وهذا صحيح ؛ لأن المختال في مشيته يتلون في حركته ألوانا) (٥٠) .

حصن : معناه (الحفظ والحياطة والحرز) (٥١) .

وقال في رسالة أخرى : (فانبرى في هذه السنة ملكا إفرنسيس وانكلتير وملوك آخرون في مواكب بحرية وحمّالةٍ حملوا فيها الخيول والخيالة والمقاتلة والآلة ووصلت كل سفينة تحمل كل مدينة واحدقت بالثغر ومنعت الناقل السلاح اليه والداخل بالميرة عليه وزاحفته بمنجنيقات كثيرة وابرجة كبيرة وبآلات عَلِمنا منها أن بلادهم للاخشاب والحديد معادن وسلالم لسهامها السفنُ الكبار كنائن هذا والعدو قد تدرع من جانبنا بخندق عميق وسور وثيق لا يخرج منه الينا ولا يقف بين يدينا) (٥٢) . يتحدد المعجم الحربي ضمن الحقل الدلالي الآتي :

الألّة : من أدوات الحرب وهي الحربة قال الخليل : (الألّة : الحربة والجمع إلال ... وسميت الألّة لأنها دقيقة الرأس) (٥٣)

السلاح : اسم جامع لأدوات الحرب التي يقاتل بها المحارب (وكان أبو عبيدة يفرق بين السلاح والجنة فيقول : السلاح ما قوتل به ، والجنة ما أتقي به) (٥٤)
سهام : السهمة (النصيب ويقال أسهم الرجلان إذا اقترعا ، وذلك من السهمة والنصيب أن يفوز كل واحد منهما بما يصيبه ... فسمي السهم الواحد من السهام كانه نصيب من أنصبة وحض من حضوض) (٥٥).

وقال في رسالة أخرى : (وفيه من الجروح الوثيقة ما يزيد على وطأة المجانيق الشديدة الأثر السديدة الحجر من كل سهم بنصل حديد (...) وقد نصب مجانيق تروع خاطر الجسارة منظرها ويُلهِمُ الحصونَ فكيف الخيامُ حجرها) (٥٦) .

ينحصر المعجم الحربي ضمن الحقل الدلالي الآتي :
نصل : جزء من تركيب السلاح و(تنصل من ذنبه : تبرأ كأنه خرج منه ، والنصل : نصل السيف والسهم سمي به لبروزه وصفائه وجلائه) (٥٧).
حديد : هو (الحد الحاجز بين الشيئين وفلان محدود إذا كان ممنوعا ... ويقال للبواب حداد لمنعه الناس من الدخول ... وسمي الحديد حديدا لامتناعه وصلابته وشدته) (٥٨).

وكـــتب القاضي الفاضل رسالة مصورا فيها انهزام الاسطول الواصل الى الاسكندرية : (وكانت عدة راجلهم كل شيني مائة وخمسين راجلاً فتكون ثلاثين ألف مقاتل عن مائتي شيني وكانت عدة الطرائد ستا وثلاثين طريدة تحمل الخيل وكانت عدةُ السفن التي تحمل الآلات للحرب والحصار من الأخشاب الكبار وغيرها ست سفن .وكانت عدة المراكب الحّمالة برسم الأزواد للرجال أربعين مركبا وفيها من الراجل المتفرق وغلمان الخيالة وصناع المراكب وابراج الزحف ودباباته والمنجنيقية ما يتمّم خمسين ألف راجل) (٥٩) .

يتحدد الحقل الدلالي الخاص بالاسلحة كالاتي :
الشيني : سفينة تقام فيها ابراج لغرض القتال .
الطريدة : سفينة حربية تحمل اربعين راكبا بخيولهم .
السفن : السفن :(يدل على تنحية الشيء عن وجه الشيء كالقشر . قال ابن دريد السفينة فعيلة لمعنى فاعلة لأنها تسفن الماء كانها تقشره) (٦٠).
ابراج : للبرج دلالتان هما (البروز والظهور والآخر الوزر والملجأ ... واصل البروج الحصون والقصور) (٦١) .
دبابات : الدبابة هي كل شيء يدب ويتحرك على الأرض فمن دلالات دبّ:(حركة على الارض أخف من المشي تقول دبّ دبيبا وكل ما مشى على الارض فهو دابة) (٦٢).

يتضح في هذا الحقل الاسلوبي اصناف الأسلحة المستخدمة من قبل الفرنج ذكر القاضي الفاضل اعدادها واصنافها (وبين نوعية الاسلحة المستخدمة من قبل الصليبيين وخططهم في المعارك وطرق قتالهم وعدد قتلاهم وميز بين فرسانهم ومقاتليهم ووسائط نقلهم أمثال الاسطول والسفينة (...) والشيني والدبابات والبروج والمنجنيق والدروع والاقواس والأتراس) (٦٣) . ويوضح لنا الحقل الحربي اصناف الاسلحة المتطورة التي يمتلكها جيش الافرنج وعدده الكبير وعلى الرغم من ذلك فلقد اندحر وانهزم ولم يقو على مواجهة الجيش الاسلامي.

إن الحقل المعجمي يحدد طابع الالفاظ ووظائفها الدلالية المشتركة عند حصرها ضمن نسق واحد فـ(الحقل الدلالي Semanictield أو الحقل المعجمي Lexicaltield هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها . مثال ذلك كلمات الالوان في اللغة العربية فهي تقع تحت المصطلح العام لون وتضم الفاظا مثل احمر – ازرق – اصفر – اخضر – ابيض) (٦٤) .

٢- المعجم الديني :

ويضم هذا الحقل الدلالي مجموعة من الالفاظ ذات السمة الاسلامية كقول الكاتب في احدى الرسائل : (وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز واثخنوا واوغلوا في البلاد واشتدت مخافة أهل تلك الجوانب بل أهل القبلة لما أومض اليهم من خلل العواقب وما ظن المسلمون إلا أنها الساعة وقد نُشِر مطوي اشراطها والدنيا قد طُوي منشور بساطها وانفطر غضبُ الله لفناء بيته الحرام ومقام خليله الاكرم وتراب انبيائه الاقدم وضريح نبيه الاعظم صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تشهد البصائر آية كآية هذا البيت إذ قصده اصحاب الفيل ووكلوا الى الله الأمر وكان حسبهم ونعم الوكيل) (٦٥) . فالالفاظ في هذا النص تحمل طابعاً مشتركا الا وهو الطابع الديني مثل :

أهل القبلة : دلالة على المسلمين كلهم لأنهم يتوحدون في صلاواتهم عندما يتجهون نحو القبلة .

الساعة: دلالة على يوم القيامة .

نبيه : دلالة على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .

أصحاب الفيل: اشارة الى جيش ابرهه الحبشي الذي اراد هدم الكعبة فامطره الله تعالى بحجارة من سجيل

٣- المعجم اللوني :

يعبر هذا الحقل المعجمي عن دلالة قسم من الالوان كقول القاضي الفاضل : (ويُرسل من ملائكة سمائه الى ارضه لنصرها ويقشع من ظلمات الخطوب براياتها السوداء ويدها البيضاء ونعمتها الخضراء ولجة بحر إنعامها الزرقاء وسيوف انتقامها التي تخرق الآجال براياتها الحمراء)(٦٦) .

ويمكن استنباط الحقل الدلالي الخاص بالالوان ودلالاتها من النص السابق كالآتي :

رايتها السوداء : السواد هنا رمز للدولة العباسية .

يدها البيضاء : البياض هنا رمز للخير والعطاء .

نعمتها الخضراء : الخضرة هنا رمز للخصب والنمو .

انعامها الزرقاء : الزرقة هنا رمز لنعمة المياه .

رايتها الحمراء : الحمرة هنا رمز للدماء التي تلطخ الرايات في المعركة .

إن الراية السوداء رمز لشعار الدولة العباسية أما اليد البيضاء ففيها دلالة على الخير والعطاء . والنعمة الخضراء تدل على الخصب والنمو. والنعمة الزرقاء تعني خيرات الانهار والبحار أما الراية الحمراء فهي دلالة على الشجاعة في ساحة المعركة إذ تسيل الدماء على الصفائح والرايات .

يعبر اللون عن الجانب الدلالي والجمالي في النص فاللون الابيض كان (مرتبطاً عند معظم الشعوب – بما فيهم العرب – بالطهر والنقاء . استخدمه العرب القدماء في تعبيرات تدل على ذلك فقد قالوا : كلام ابيض وقالوا: يد بيضاء واستخدموا البياض للمدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب ولارتباطه بالضوء وبياض النهار استخدموه في تعبيرات تدل على ذلك) (٦٧) .

إن في الالوان دلالات متنوعة فالازرق الفاتح (يعكس الثقة والبراءة والشباب ويوحي بالبحر الهاديء والمزاج المعتدل) (٦٨) . واللون يعد من احدى وسائل التعبير الدلالية وهو ما يزال (كنزاً مخبوءا لم يستطيع الانسان ان يصل الى قـــــراره إنه قوة موحية تؤثر في جهازنا العصبي) (٦٩) .

إن ضم الالفاظ – كالالوان – في انساق معينة يحدد اسلوب الكاتب وطرائق تعبيره (ويعين المستوى المعجمي على تذوق النصوص تذوقا سليما وعلى معرفة مواقع الالفاظ وما يكون لها من معان متعددة تتناوب في الظهور بتناوب السياق) (٧٠) .

ومن خصائص اسلوب القاضي الفاضل الاكثار من ايراد الالوان في رسائله كقوله : (صبّح الله الحضرة بكل صبيحة بيضاء بما ثلج الخاطر لا بما يثلج في المناظر وبكل صبيحة خضراء بما تسحبه السحابة الطالعة لا بما تنسخه الدمنة الخادعة وبكل صبيحة حمراء بما يخلقها من النضار

المسبوك الاحمر لا بما يخلفها من الدم المسفوك وبكل صبيحة صفراء بما يفيض من خلوق البشائر ودروعها لاصفراء بما يعلو الوجوه من آثار القلوب وهلوعها ، وبكل صبيحة زرقاء بما ترقرقه الغدر الصافية لازرقاء بما يهزه السمر الصافية ، وبكل صبيحة سوداء بخلع الدار العزيزة التي استحقها قلمها الخطيب لا سوداء فإن يدها البيضاء أزالت كل سوادهم وبياض مشيب) (٧١) .

يمكن حصر الالفاظ الخاصة بالالوان ضمن الحقل الدلالي الآتي :

بيضاء : صبيحة بيضاء تدل على الفرح والسرور .

خضراء : تدل على النمو والخصب والخير .

حمراء : تدل على لون الذهب وهو معدن نفيس .

زرقاء: تدل على خيرات المياه .

سواد : يدل على الشؤم والحزن .

إن من أكثر الالوان التي تكررت في أسلوب القاضي الفاضل اللون الأسود . قال في رسالة : (ويأبى الدهر إلا أن يتصل على جديده كل خضاب إلا خضاب الراية السوداء فلا يأخذ منها الليل بملائمته ولا يغسل منها النهار بمصارمته) (٧٢) واللونان الأزرق والأبيض كما ورد في رسالته (وكان ازرق الفجر قد طلع من ابيض السيف) (٧٣) .

اقتبس القاضي الفاضل الالوان من الطبيعــة المحيطة به ولاسيما الأبيض والأسود (ولم نكد نرث من الادب العربي القديم إلا الألوان الكبرى مثل الأبيض والأسود والأزرق والأخضر والأصفر والأحمر (...) واذن فكما يتفنن الرسام في المزج بين الوان لوحته يتفنن الاديب في المزج بين عناصر كتابته إما بالتلوين الصريح مثل استخدام الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق والبنفسجي واما بذكر الالوان على سبيل التلازم مثل الفجر والصبح والشمس والاصيل ، والدر والياقوت والمرجان واللؤلؤ) (٧٤) .

<u>المبحث الثالــث :الجانب التركيبي</u>

نتحدث في هذا الجانب عن بناء الجملة بشكل عام ، وعن تركيب رسائل القاضي الفاضل بشكل خاص إذ يتكون النص الادبي من بناء لفظي يضم التعابير اللغوية التي تحمل المعاني والدلالات المختلفة فإن (الخطاب الادبي ينبني على اللغة فهو لا يعدو أن يكون سلسلة من الكلمات التي تنتظم داخل الجمل أي ان القصة او القصيدة ليست إلا جملة طويلة مركبة والذي يميزها عن الكلام العادي هو كيفية تنظيم وحداتها اللغوية وهو أمر موكول الى علم التركيب الذي يختلف كليا عن النحو بالمفهوم العربي الكلاسيكي (...) فعلم التركيب يهتم بدراسة الدوال في نطاق المحور السياقي الوارد فيه دراسة تعتمد ابراز الخصائص اللغوية لتلك الدوال . واذا كان الخطاب الادبي كما أسلفنا نظاماً لغويا فإن الذي يميزه عن بقية الانظمة اللغوية هو جانبه الفني او الأدبي) (٧٥) . وتؤكد الأسلوبية على ضرورة دراسة النص الأدبي وفق جانبين هما : (١- دراسة العناصر الاسلوبية الصغرى في ضوء مجموع النص وذلك لكي تحتل موقعها الفعلي بالنسبة للنسق العام ٢- ضرورة مراعاة الخصائص العامة للنوع الادبي الذي ندرسه اسلوبياً) (٧٦) . ومن وظائف اللغة في الأسلوبية كما يرى جاكوبسون : (الوظيفة المرجعية وهي متمركزة حول السياق اللفظي او القابل أن يكون لفظيا ذلك الذي تحيل اليه الارسالية . الوظيفة الانفعالية وهي متمركزة حول المرسل . الوظيفة الافهامية : وهي متمركزة حول المرسل اليه . الوظيفة الانتباهية ومتمركزة حول الحفاظ على التواصل بين المسُنن ومفكك السنن . الوظيفة الميتا لغوية (المعجمية) وهي متمركزة حول السنن المشترك بين المرسل والمرسل اليه . الوظيفة الشعرية وهي متمركزة حول قصد الارسالية) (٧٧) . ونكشف في تركيب النص ونظام الجمل اسلوب الكاتب وسمات تعبيره وطريقته في نسج الكلمات وربط الجمل واختيارها فالاسلوبية تدرس (فعل التواصل لا بوصفه مجرد انتاج لسلسة لغوية ولكن بوصفه يحمل طابع شخصية المتكلم وبوصف يلفت انتباه المخاطب وباختصار تدرس

الأسلوبية طرق الكفاية اللسانية أي السمة التعبيرية في نقل حمولة عالية من المعلومات (...) وهكذا تقوم الاسلوبية باستقصاء الاسلوب الأدبي) [٧٨] .

يتكون تصميم رسائل القاضي من الأجزاء الاتية :

١- بداية
٢- وسط
٣- نهاية

أ – البدايـــة

يستهل القاضي الفاضل العديد من رسائله بالفعل الماضي لغرض الدعاء كالفعل أدام مثل قوله في رسالة الى الوزير : (أدام الله إشراق شمس السعادة وشروقها واستقرار ركاب النعمة وطروقها بجناب المجلس السامي ولا زالت محارمه تغنيه عن ايجاد الذرائع ويده جانية من ورق الحديد ثمر الوقائع) [٧٩] . وكقوله في رسالة الى مجد الدين بن الصاحب : (أدام الله إقبال سامي الصاحب وأيّدَ سعادته وأيد بالنجح إرادته وحلى بالمكارم والمحامد سجاياه وعاداته) [٨٠] . ومثل قوله في رسالة الى الملك العادل : (أدام الله عز سلطان المجلس العالي الملكي العادلي ولازال ماضي سيف الفتك داميه . ها طل سحاب الجود هاميه) [٨١] . وكقوله في رسالة الى الديوان العزيز ببغداد : (أدام الله أيام الديوان ولا زالت منازل ملكه منازل التقديس والتطهير وموالاته وسيلة التمحيص والتكفير ومواقف الاولياء ببابه مواطن السجود والتعفير) [٨٢] .

تتكون الصيغة الانفة الذكر من :

فعـل (أدام) + لفـظ الجلالــة (الله) + مفعـول بــه

ونلاحظ في النصوص السابقة ان الرسائل تبدأ بصيغة الدعاء – أدام – وهو دعاء بالخير يرسله الكاتب – القاضي الفاضل – الى المرسل اليه معبرا له عن الاحترام والتوقير و(من الخصائص الهامة التي يتميز بها الكلام الادبي عن الكلام العادي هو أنه يخضع لظاهرة الاختيار فالباث يتخير من الرصيد اللغوي دوال معينة يقحمها في ملفوظه عن قصد وبهذا الاعتبار فإن الخطاب الأدبي هو عمل يتم عن وعي وإن كل ما يوجد في الخطاب من تراكيب والفاظ يؤدي وظيفة قصدها الباث) [٨٣] .

وقد يبدأ القاضي الفاضل رسالته بفعل ماض ناقص مثل (كان) كما في قوله (كان صدر كتابنا الى الشيخ الفقيه زين الدين قدوة الوعاظ جمال الحفاظ أدام الله توفيقه (...) ونهج الى الخيرات الطرق به وطريقه) [٨٤] . وفي قوله : (كان كتابنا نفذ الى الامين الخطيب شمس الدين قدوة المسلمين أطال الله بقاءه ووفق انجاءه فعلم منه الاحوال الجالية في المدن الخالية) [٨٥] . وبدأ القاضي الفاضل في رسالتين بالحرف إن كقوله : إن الله ملكنا دمشق عناية وعنوة ولم يكتب بحمد الله فيها الى خطيئةٍ خطوة) [٨٦] . وكقوله : (إن الأبرنس خذ له الله كان قد عمر مراكب واستكثر عدّتها وعُدتها) [٨٧] .

وقد تستهل رسائل القاضي الفاضل بآية قرآنية كقوله في احدى الرسائل : ((ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) سورة الانبياء / الآية ١٠٥ . الحمد لله على ما انجز من هذا الوعد وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد)) [٨٨] . وتستهل قسم من رسائله بافعال تامة كقوله : (تقدمت الى المجلس السامي بعد فتح حلب كتب تضمنت مامنّ الله به من أمرها وسّهله من صعبها) [٨٩] . ومثل قوله : (صدرت هذه البشرى ودماء الفرنج على الارض وقيل لها ابلعي وعجاجهم في السماء وقيل أقلعي) [٩٠] . وقد يستهل القاضي الفاضل رسائله باسم كقوله : (المملوك يقبل الارض بين يدي مولانا الملك الناصر عزت انصاره وشرفت آثاره) [٩١] .

ب – الوســط

يتضمن هذا الجزء مضمون الرسالة وعلة ارسالها والباعث على توجيهها الى المرسل اليه ويشغل حيزاً كبيراً من بناء الرسالة لما فيه من تفصيل وايضاح . ويشترط في العرض كما تقدم ذلك في التمهيد مقتضى الحال والسهولة والوضوح والبعد عن التعقيد والغموض .

من امثلة العرض ما جاء في رسالة القاضي الفاضل وهو يبشر مؤيد الدولة بن منقذ بفتح قلعة حمص قائلاً : (وكتابنا هذا اليك أيها الأمير وقد فتح الله بعد مدينة حمص قلعتها المنيعة وأباحنا بيضتها الرفيعة واستقل مُلكنا بملك قلعتها التي تقصر عنها الهمم المستطيعة وعقد لنا عصمة عقله برد أنوف الملوك بأعطاف القطيعة . وكان افتتاحها بالسلم التي حصّنت الارواح والحريم وردت السيف المُحيق بحكم العفو الحليم وبعد قتال كانت يد السيف تدَعُ الجيوب جيوبا ووساء الرمح تحتفر في القلب قليبا . وبعد نصب منجنيقات ترمي بحجارة إذا اتبعتها الحبال مودّعة حلّت كواكب ذات ذوائب وإذا رأتها العين مباشرة لتأسو ربّما ظن القلب أنه قد تجشمت النوائب وبعد أن هزت اعطاف الجدران فتساقطت ثمارُ الابراج خاطبتها الخطوب بألسنة النيران فحررتهم أخطارُ اللحاح ثم اسفرت وجوه الاولياء (وجوهُ يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة) سورة عبس / الآية ٣٩ ، لم يُفقد منهم فقيد ولا وجد في المعركة طريح ولاولى فيها طريد والحمد لله الذي اسبغ نعمته وهو المبدىء والمعيد . (وينشر رحمته وهو الولي الحميد) سورة الشورى / الآية ٢٨ . وفتحنا تقليد البلاد بالزمان الذي منحه لاهل التقليد بالتقليد) [٩٢] .

إن سمات اسلوب القاضي الفاضل في هذه الرسالة تبيان سبب ارسالها وهو التفاخر بالنصر والفتح . واقتباس آيتين كريمتين من القرآن مع الايجاز وعدم الاطالة .

وقد يلجأ القاضي الفاضل الى الاطالة كرسالته التي ارسلها الى مركز الخلافة العباسية اثناء خروج صلاح الدين من مصر الى الشام لمواصلة القتال ضـــد الصليبيين إذ انها بلغت احدى عشرة صفحة وهو يصف فيها شجاعة الجيش الاسلامــــي وتصديه للصليبيين [٩٣] . وهي رسالة طويلة يصعب الاستشهاد بها كاملة لذلك اكتفيت بالاشارة اليها .

بينما اتسم العرض في قسم من رسائله بالقصر فلم يتجاوز ثلاثة أسطر أو أكثر كقوله عن فتح آمد : (ففتحت بقتال ثلاثة ايام اعقبت سِلما حقنت الدماء في اهبها وردت السيوف بغيظها الى قربها . فالحمد لله الذي فتح منها ما كان في وجوه الهمم سدا) [٩٤] .

ومما يلفت الانتباه ان اغلب رسائل القاضي تتسم بالتوسط في الطول فلا تتجاوز الصفحتين وهذا من الشروط الرئيسة في كتابة الرسائل .

ج- النهايـــة

هي الجزء الأخير من بنية الرسالة وخاتمتها . ومما يلفت الانتباه في رسائل القاضي الفاضل أنها تنتهي بالتركيب (إن شاء الله) في العديد منها كقولـــه : (والله تعالى ينجد ارادتنا في الخدمة ومضاعفة الاقتدار ومساعدة الأقدار ، إن شاء الله تعالى) [٩٥] . وكقولــه : (موسعنا النعماء التي يتسع بها على خلقه النعماء ومورثنا الارض نتبوأ منها حيث نشاء إن شاء الله تعالى)[٩٦] . وكقولـــه : (وهو لما قلناه يقول ويفعل ، إن شاء الله تعالى) [٩٧] وكقولـــه : (فربما فخر المهزوم بهازمه وعد نجاته من مغانمه إن شاء تعالى) [٩٨] .

نلاحظ في النصوص السابقة انتهاء الرسائل بالصيغة : إن الشرطية + فعل ماضي (شاء) + فاعل لفظ الجلالة (الله) .

وقد ينهي القاضي الفاضل رسالته بآية قرآنية كقولـــه : (فيسد باعناق النوى بعد هذه المرائر ويتلو العيان منه سرير حب يُستظهرُ منه (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) سورة الطارق/ الآية ٩)[٩٩] . وكقولــه في رسالة اخرى : (والحمد لله الذي تمم النعمة بحمده وانجح الأمل بقصده (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ) سورة فاطر / الآية ٢) [١٠٠] .

إن تركيب رسائل القاضي الفاضل لا يخضع لنظام موحد وكذلك هو الحال في مختلف الأجناس الادبية فلا (توجد قواعد مشتركة لكل النصوص الادبية الموجودة ، قواعد واضحة المعالم ومتكررة في جميع النصوص من النوع الأدبي) [١٠١] .

ويتكون النص الادبي في الانواع الادبية كلها من نسيج لغوي يحدد جنسه وسماته وخواصه فالبنية ليست مجموعة روابط وعلاقات فحسب (إنما هي طريقة في فهم النص وتحليله من خلال مقومها التركيبي أي روابطها الداخلية والخارجية) [١٠٢] . فمن الصيغ الواردة في اسلوب القاضي الفاضل صيغ الزيادة كقولـــه : (كان الفرنج قد ركبوا من الأمر نكرا وافتضوا من البحر بكرا وظنوا أن الشواغل عنهم تتعرض والليالي دون اليقظة لمكرهم تتقرّض وعمروا مراكب حربية أشحنوها بالمقاتلة والاسلحة والأزواد وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز وأثخنوا واوغلوا في البلاد) [١٠٣] .

نلاحظ صيغ الزيادة في الكلمات الآتية :

افتضوا – تتعرّض – تتقرّض – عمّروا – أشحنوها – أثخنوا – أوغلوا

ووردت صيغ الزيادة وصيغة المثنى في قولـــه : (وتلاطم البحران وتصادم المجران واضطرم الجمران وقرع النبعُ بالنبع واختلط الجمع بالجمع) [١٠٤] . فمن صيغ الزيادة الواردة في النص : تلاطم ، تصادم ، اضطرام ، اختلط . ومن صيغ المثنى : البحران ، المجران ، الجمران .

كـما ورد اسلوب التمني في رسائل القاضي الفاضل كقولـه : (ولو أُمرت الأقلام لجرت مرفهةً لأناملها ولا ملت من خواطرها ماذخرته من حواصلها هذا على أن زأرَ الاسود قد راضها حين كانت قصبا في الغاب ولولا تذرُ به لما ثبت فؤادها لفتكات الفاظها العضاب) [١٠٥] . نلاحظ في النص صيغة التمني مثل : لو ، لولا .

كما تكثر صيغ الأعداد في اسلوب القاضي الفاضل مثل قولـــه : (ولا تقصر عدَّتُهم عن خمسة آلاف فارس ومائة ألف راجل قد افناهم القتل والأسرُ واكلتهم الحرب)[١٠٦]. وكقولـــه : (وكانت عدة المأسورين من الكفار تزيد على سبعمائة راجلٍ (...) واستولى المسلمون على موجود سلاح يناهز مائة ألف قطعةٍ من الحديـــد الغالي صنفه والنسيج السابغ زغفهُ) [١٠٧] . وتندرج الاعداد ضمن المستوى الصرفي في بناء الكلام (إذ أنها تسير وفق نسق مقرر متنوع فللاسماء في العربية صيغ وللافعال صيغ وللجموع صيغ (...) والمستوى النحوي يشتمل على مطلبين اساسين وهما قواعد تركيب الجملة بالعربية ونظام الاعراب) [١٠٨]

<u>المبحث الرابع :الجانب البلاغي</u>

في هذا الجانب ندرس الفنون البلاغية الشائعة في اسلوب الكاتب كالصور البيانية والفنون البديعية . والصورة (رسم قوامه الكلمات المشحونة بالاحساس والعاطفة) [١٠٩] . ويخلق الاديب صورا معبرة قوية عن طريق الاحساس والخيال والثراء اللغـــوي (ويراد بالصورة القوية ما نتجاوز بالعقل معناها الحرفي الى معنى او معان اخرى مجازية او غيرها وذلك يكون بالتمثيل والكناية والاستعارة من كل ما يفتح أمام القاريء آفاقاً من التفكير أو التخييل) [١١٠] .

من السمات الاسلوبية في رسائل القاضي الفاضل الاكثار من الصور التشبيهية كما في قولـــه : (والاحاديثُ عن فضلها كأنها جنا النحل) [١١١] . فلقد شبه الاحاديث بجنا النحل ووجه الشبه حلاوة الطعم وعذوبته واستعان باداة التشبيه كأن . وقال : (ولم يروا مضابع ذات حسكٍ كمضاجع حسَكُها السهام) [١١٢] .شبه المضابع بالمضاجع ووجه الشبه شدة الوخز. وقال : (فجئناهم بعساكر كأنما نودي فيها ليوم حشرها بل ليوم نصرها وألوية كأنما عقدتها حورُ الجنان من خُمرها ورايات كأنما حكت خفقان قلوب الاعداء عند ذعرها ورماح كأنما أفضت الى صدورها صدور المنون بسرَّها وسهام توفي الطيور ما اقترضته من ريش أجنحتها بما يطعمها كرام الشجعان من حرز اسلحتها) [١١٣] .فاداة التشبيه هنا (كأن) وظفها الكاتب لتصوير شجاعة الجيش الاسلامي

و(اعلم انك إذا اردت تشبيه الشيء بغيره فانما تقصد به تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح أو ذم أو ترغيب أو ترهيب أو كبر أو صغر أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه وتراد للايجاز ايضاً والاختصار في اللفظ من تعديد الاوصاف الشبيهة وتراد للبيان والايضاح أيضاً) [١١٤] .

كما وردت الصور الاستعارية في رسائل القاضي الفاضل وهي أجمل من الافصاح إذ أنها تستعير المعنى السابق المستعار و (اعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت ارادتك التشبيه إخفاء ازدادت الاستعارة حسنا حتى إنك تراها أغرب ما تكون) [١١٥] . قال القاضي الفاضل : (فنوينا ان نصابحهم يوم الاحد بكؤوس المنايا الدوائر ونحاكمهم الى الله بشهادة السيوف البواتر) [١١٦] . فاستعار الكؤوس ليصف منايا الاعداد . وقال : (وتضرمت نار الغضب وسمت ماء السيوف إعانتها) [١١٧] . لقد استعار النار لتصوير شدة الغضـــب . وقال : (وتساقوا كؤوس الموت تحت العجاج مغتبقين) [١١٨] . وهنا استعار الكؤوس للموت وجعل للموت كؤوساً ليصف قتل جنود العدو وشجاعة المسلمين في الحرب .

تكون الاستعارة صوراً جميلة موحية بعد ادخال اللفظة في سياق جديد (فيقع تصادم او احتكاك بين المؤدّى القديم لهذه اللفظة – أي ما كانت علي قبل انتقالها – والموقف الجديد الذي استدعاها وكما يقول بعض النقاد المحدثين ان الاستعارة ضماد بين سياقين وهذه النقطة ذات اهمية لدينا لأنها مفتاح للمجاز الاستعاري) [١١٩] . وتحقق الاستعارة وظيفة بلاغية فانك تذكر (احدى طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخـر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به) [١٢٠] .

ومن الصور البيانية الواردة في رسائل القاضي الفاضل الصور الكنائيـة.والكناية (لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ كقولك فلانة نؤوم الضحى أي مرفهة مخدومة) [١٢١] .

وردت الصورة الكنائية في قول القاضي الفاضل وهو يسخر من العدو : (فهنالك عُرضت عليه وجوه أمانيه سودا وارهقته حديث الصغار صعودا) [١٢٢] .فاللون الاسود هنا كناية عن الخسارة والانهزام في المعركة .وقال في رسالة اخرى : (وكان ازرق الفجر قد طلع من ابيض السيف) [١٢٣] فاللون الازرق هنا كناية عن الفجر السعيد بعد النصر أما الأبيض فهو كناية عن لمعان السيوف وما حققته من انتصار عندمـــا حملته أيادي المقاتلين المسلمين .

ومن السمات الاسلوبية البارزة في رسائل القاضي الفاضل الاكثار من الاقتباس ولاسيما من القرآن الكريم وقلما تخلو رسالة من ذلك . قال تعالى ((لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر)) سورة الأحزاب/ الآية ٢١ . انزل الله الصبر وضاعف التأييد والنصر وأطلـع الـزمن النضـر) [١٢٤] . وقـال القاضـــي الفاضـل مصـورا نصـر المسـلمين (ونفحاتهـا جهنمية(وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)سورة البقرة/ الآية ٢٤. والبلاء ينادي بلسان مصابها إياك أعني واسمعي ياجارة فولجت النار موالج يضيق بها الفكر وتعجز عنها الإبرُ ونقلت الينا من العين الى الأثر وقال الكفر(إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ) سورة المدثر / الآية ٣٥) [١٢٥] .

وقد يأتي الاقتباس في نهاية الرسالة كقول القاضي الفاضل : (والحمد لله الذي يتمّم الصالحات بحمده (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) سورة فاطر / الآية٢) [١٢٦] . وقال في رسالة اخرى : (والله المشكور على أن نزل نازل بنصره طائع للمؤمنين ليس له طالع) [١٢٧] و (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَـهُ دَافِعٌ) سورة المعارج الآية / ١ ، ٢ .

فمن السمات الاسلوبية في اقتباس القاضي الفاضل إيراد السجع قبل الآيات القرآنية او بعدها كي تنسجم مع ايقاع الفواصل القرآنية وهو من ابرز السمات البلاغية في رسائل القاضي الفاضل .

ومن السمات الاسلوبية في رسائل القاضي الفاضل تضمين الاشعار . فقد ضمن احدى الرسائل بيتا من شعر المتنبي : (واجتمع في هذه الجموع من الجيوش الغربية والالسنة الاعجمية من لا يُحصرُ معدودة ولا يتصور في الدنيا موجوده فما أحقهم بقول أبي الطيب المتنبي [١٢٨] :

تجمّعَ فيه كل لسنٍ وأمةٍ فما يفهم الحدّاثُ إلا التراجمُ) [١٢٩] .

ضمــن القاضي الفاضل رسالته بيت المتنبي ليصور كثرة ما جمعوا من جنود من كل حدب وصوب . فلقد اجتمع في جيشهم اهل كل اللغات اشارة الى عظم الجيش وما قد اجتمــع فيه من المقاتلين .

كما ضمن القاضي الفاضل احدى الرسائل ابياتا شعرية لا ادري إن كانت لـه أم لغيره كما ورد في الرسالة التي بعثها الى العماد الاصبهاني :

يــومٌ كأنّ نسيمه من عنبرٍ وتخال أن أديمه من جوهــر
لو باعت الايامُ آخر مثلهُ بالعمر أجمع كنت اول مشتري [١٣٠]

وضمن القاضي الفاضل احدى رسائله ابياتا شعرية في مدح صلاح الدين الايوبي منها قوله :

ماضيات على الدوام دوامي هي في النصر نجدة الاسلام [١٣١] .

ومن السمات الاسلوبية الخاصة بالحقل البلاغي الاكثار من الطباق او التضاد وهو الجمع بي المعنى وضده وهو من عوامل قوة التعبير (لأن المقابلة نوع من التحدي بين المعاني والمنافسة في الظهور وهذه قوة للمعاني) [١٣٢] .

قال القاضي الفاضل : (فإن لمصر اعداء سرٍّ وجهر وخصوم بر وبحر) [١٣٣] . يتجلى الطباق بين الكلمات الاتية :

سر + جهر – بر + بحر .

وقال : (وجهاده تحت رايتها السوداء واجتهاده في رفع كلمتها البيضاء) [١٣٤] . يبدو الطباق بين كلمتي : سوداء + بيضاء وتضمن هذا الطباق شعار الدولة العباسية وهو الراية السوداء.

ومدح القاضي الفاضل الجيش الاسلامي فقال :(وينزلون بفنائها برا وبحراً ويقابلونها ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً)[١٣٥] إذ يتضح الطباق بين الكلمات الآتية :

ليلاُ + نهاراً – سراً + جهراً .

ووصف المعركة وشجاعة المسلمين في رسالة اخرى فقال : (إلى ان صار القتال قتالين بري وبحري والى ان صار العمل عملين ليلي ونهاري) [١٣٦] . يتجلى الطباق بين الكلمات :

بري + بحر – ليلي + نهاري .

وورد الطباق في قولــه:(وكيف نصر الله عليه مـــــع الاصعب من قتاله بالأسهل من قتالنا) [١٣٧] . وفي قولـــه : (وابتسمت ثغورُ الاسلام عن الثغور التي ملكها وبعدما أبكاها الضلال فإن الهدى أضحكها) [١٣٨] . وفي قولـــه (واغلاق هذا الباب خيرٌ من فتحه ودمل هذا الندب خيرٌ من توسعة جرحه) [١٣٩] .

يتجلى الطباق بين الكلمات الآتية :

الأصعب + الأسهل – أبكاها الضلال + الهدى أضحكها – إغلاق + فتح – دمل +جرح

فإن كل (ما نــدركه في النص ندركه بالمقارنة والتبيان فقط . فالعنصر الذي لا يملك علاقة متباينة بالعناصر الأخرى يكون غير مرئي وحتى غياب بعض الوســـائل قد يكون ذا معنى) [١٤٠]. إن من سمات الحقل البلاغي في رسائل القاضي الفاضل الإكثار من الصور البيانية والاقتباس والتضمين والتضاد لما تحققه هذه الفنون من غايات جمالية وبلاغية وقد أشاد بفن القاضي الفاضل (كل من تعرضوا لترجمته كما أشار كثير منهم – وعلى رأسهم العماد الاصبهاني – إلى أنه صاحب طريقة أو كما يقول العماد شريعة جديدة ولكن ينبغي أن لا نظن من ذلك أن القاضي الفاضل ابتكر مذهباً جديداً في تاريخ النثر العربي ، إنما كل ما هناك أنه قلد أصحاب التصنع فأحسن التقليد . ومن المهم أن نعرف أن الكتّاب في الأقاليم منذ القرن السادس أخذوا يُغمرون بذوق التصنع في الكثير الأكثر وقلما تركوا هذا الذوق إلى ذوق التصنيع) [١٤١] .

الخاتمــة

يشيع السجع في رسائل القاضي الفاضل ويعد من أبرز الفنون البلاغية الطاغية فيها . ومن سماته التصنع والتكلف وطول الجمل المسجوعة .كما يسود الجناس والتكرار والتوازي في اسلوبه .

ومن الحقول الدلالية الشائعة في اسلوب القاضي الفاضل المعجم الحربي الخاص باسلحة وأدوات الحرب ، والمعجم الديني الاسلامي والمعجم اللوني . ويتكون هيكل رسائل القاضي الفاضل من بداية ووسط ونهاية . ومن السمات الاسلوبية في بدايات الرسائل تكرار صيغة الدعاء أدام ، والفعل الماضي الناقص كان ، والحرف إن .

أما الوسط فمن سماته السهولة والوضوح والتوسط في الحجم وتبيان سبب ارسال الرسالة الى المرسل إليه . وتختتم اغلب الرسائل بالصيغة إن شاء الله علما انه لم يلتزم بنهاية واحدة في جميع الرسائل . كما تشيع صيغ الزيادة وصيغ الجموع في رسائله .

وأكثر الكاتب من رسم الصور البيانية كالصور التشبيهية والاستعارية والكنائية . كما يشيع الاقتباس من القرآن الكريم في رسائله فيأتي بالآية الموافقة للسجع الذي يورده ليحدث مع الفاصلة ايقاعا متجانسا . ويكثر القاضي الفاضل من الطباق ولا سيما طباق الايجاب ليظهر للمرسل اليه التباين والاختلاف .

أما لغة الكاتب فتتسم بالسهولة والوضوح والايجاز مراعاةً لمقتضى الحال وللمرسل اليه . وتنوعت الرسائل على ثلاثة اقسام : سياسية وحربية واخوانية . ومن المآخذ على رسائل القاضي الفاضل تشابه اسلوبها فلم تتباين بحسب ثقافة المرسل اليه ووعية بل كانت وفق اسلوب واحد سواء كانت اخوانية أم سياسية أم حربية .

الهوامــش

(١) الأعلام : خير الدين الزركلي ٣٤٦/٣ .
(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب :الحنبلي ٣٢٥/٣ .
(٣) الرواية وصنعة كتابة الرواية : ترجمة سامي محمد/ ٨١ .
(٤) الأسلوب : د. محمد كامل جمعة/ ٦٦ .
(٥) دلائل الاعجاز في علم المعاني : عبد القاهر الجرجاني / ٥٧ .
(٦) الشعر والشعراء : ابن قتيبة / ٢٣.
(٧) اللغة والأسلوب : عدنان بن ذريل / ١٣١ .
(٨) الأسلوبية منهجا نقديا : محمد عزام/ ٧٨ .
(٩) المصدر نفسه/ ١٢٧ .
(١٠)علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : د. صلاح فضل/ ٥٢ .
(١١) الأدب العربي : فواز الشعار /١٧٩ ، وينظــر المعجم الأدبي : جبور عبد النور /١٢٢ .
(١٢)المصدر نفسه /١٧٩ .
(١٣)رسائل القاضي الفاضل : دراسة وتحقيق د. علي نجم عيسى /١٣-١٤ .
(١٤)المصدر نفسه /١٨ .
(١٥)المصدر نفسه/ الصفحة نفسها.
(١٦)معجم المصطلحات العربية في اللغــة والأدب : مجـدي وهبة وكامل المهندس /٤٢ .
(١٧)فن التقطيع الشعري والقافية : صفاء خلوصي /٣٨٥ .
(١٨) تاريخ الأدب العباسي : رينولد انكلسن ، ترجمــة وتحقيق د. صفاء خلوصي /١٣٣ .
(١٩)رسائل القاضي الفاضل /٤٥-٤٦ .

نور الدين زنكي (ت٥٦٩هـ) : هو محمود بن زنكي عماد الدين ابن أقسنقر ، أبو القاسم ، نورالدين ، الملقب بالملك العادل . ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم . ولد في حلب وانتقلت اليه أمارتها بعد وفاة أبيه . امتدت سلطته في الممالك الاسلامية حتى شملت جميع سوريا الشرقية وقسما من سوريا الغربية والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانبا من اليمن . ينظر الاعلام : خير الدين الزركلي ١٧٠/٧ وما بعدها .

صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ) : يوسف بن أيوب بن شاذي ، أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي الملقب بالملك الناصر ، من اشهر ملوك الاسلام . أبوه وأهله من قرية دوين في شرقي أذربيجان وهم

بطن من الروادية ، من قبيلة الهذالية من الأكراد نزلوا بتكريت ، وولد بها صلاح الدين ، وتوفي فيها جده شاذي ، ثم ولي أبوه أيوب أعمالا في بغداد والموصل ودمشق ، ونشأ هو في دمشق وتفقه وتأدب وروى الحديث بها ودخل مع أبيه نجم الدين وعمه شيركوه في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي . ينظر الاعلام : الزركلي ٨ / ٢٢٠.

العبادين :جماعة هاجرت من مدينة صرخد الواقعة ضمن أعمال دمشق ولقبوا بهذا اللقب (العبادة).

(٢٠)رسائل القاضي الفاضل /١٥٢ .

(٢١)المصدر نفسه /١٧٩ .

نصيبين : مدينة تقع بين الموصل وبلاد الشام .

(٢٢)المصدر نفسه / ٢٣١-٢٣٢ .

حطين : قرية في فلسطين غربي بحيرة طبريّة عندها انتصر صلاح الدين على الصليبيين سنة ٥٨٣هـ - ١١٨٧م . واستعاد بيت المقدس .

عكا : مدينة في فلسطين على المتوسط .

(٢٣)البصائر والذخائر : أبو حيان التوحيدي ، تحقيـــق : د. ابراهيم الكيلاني ، ٣٦٥/١ .

(٢٤)تحاليل اسلوبية : محمد الهادي الطرابلسي /١٤٥ .

(٢٥)جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال /٢٢٦ .

(٢٦)علم البديع : د. بسيوني عبد الفتاح فيود / ٢٧٨.

(٢٧)رسائل القاضي الفاضل /١٨٥ .

آمد بكر: بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نهر دجلة بأكثره مستديرة به كالهلال وفي وسطه عيون وآبار. ينظر معجم البلدان : ياقوت الحموي ٥٦/١.

(٢٨)المصدر نفسه /٢٣٢ .

(٢٩)المصدر نفسه /٢٣٨-٢٣٩ .

(٣٠)المصدر نفسه /٥٢ .

(٣١)المصدر نفسه /٩٧ .

(٣٢)علم البديع : د . بسيوني عبد الفتاح فيود /٢٩٤ .

(٣٣)جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال /٣١٣ .

(٣٤)رسائل القاضي الفاضل /١٤٦-١٤٧ .

(٣٥)رسائل القاضي الفاضل /١٥٠-١٥١ .

(٣٦)المصدر نفسه /١٧٥ .

(٣٧)المرشد الى فهم اشعار العرب : د. عبد الله الطيب المجذوب ١٢٦/٢ .

(٣٨) الشعرية في نثر نزار قباني : ياسين محمود الأقرع ، مجلة الموقف الأدبي ، سوريا، العدد (٣٣٢) ، ٣٧/١٩٩٨ .

(٣٩)النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق : عدنان بن ذريل /٢٧٨ .

(٤٠)لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب : محمد خطابي /٢٣٠ .

(٤١)رسائل القاضي الفاضل /١١٩ .

قطب الدين (ت٥٧٨هـ) :هو الامام الفقيه قطب الدين النيسابوري . درس الفقه الشافعي في حلب.

(٤٢)المصدر نفسه /١٢٤ .

(٤٣)المصدر نفسه/١٤٩ .

(٤٤)التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الايقاع والدلالة : سامح رواشدة ، أبحاث اليرموك ، مجلد (١٦) ، العدد (٢) ، ١٩٩٨م/٩٠ .

(٤٥)علم الدلالة السلوكي : ترجمة مجيد الماشطة /٧ .

(٤٦)علم الدلالة (علم المعنى) : د.محمد علي الخولي / ٨٣.

(٤٧)رسائل القاضي الفاضل /١٥٨ .

حصن عفر بلى يقع في غور الاردن . ينظر معجم البلدان : ياقوت الحموي ١٣١/٤.

(٤٨)معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (ت٣٩٥هـ) / ٨٤٤.

(٤٩)المصدر نفسه / ٤٧٨.

(٥٠)المصدر نفسه / ٣٢٠.

(٥١)المصدر نفسه / ٢٤٨.

(٥٢)رسائل القاضي الفاضل / ٢٦٠.

(٥٣)معجم مقاييس اللغة / ٣٠.
(٥٤)المصدر نفسه / ٤٦٧.
(٥٥)المصدر نفسه / ٤٧٤ .
(٥٦)رسائل القاضي الفاضل / ١٣٢.
(٥٧)معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس / ٩٩٢.
(٥٨)المصدر نفسه / ٢٢٢.
(٥٩)المصدر نفسه / ٦٥ .
(٦٠)معجم مقاييس اللغة : ابن فارس / ٤٦١.
(٦١)معجم مقاييس اللغة : ابن فارس / ١١٢.
(٦٢)المصدر نفسه / ٣٣١.
(٦٣)رسائل القاضي الفاضل /١٦-١٧ . مقدمة المحقق .
(٦٤)علم الدلالة : د. احمد مختار عمر /٧٩ .
(٦٥)رسائل القاضي الفاضل /١٦٣ .
(٦٦)المصدر نفسه /١٣٠ .
(٦٧)اللغة واللون :د. احمد مختار عمر /٦٩ .
(٦٨)المصدر نفسه /١٨٣ .
(٦٩)اللون : محمد يوسف همام /١ .
(٧٠)جدل اللفظ والمعنى دراسة في دلالة الكلمة العربية :د .مهدي اسعد عرار /٢٠ .
(٧١)رسائل القاضي الفاضل /٢٦٩ .
(٧٢)المصدر نفسه /٢٤١-٢٤٢ .
(٧٣)المصدر نفسه /١٥٢ .
(٧٤)مقامات السيوطي : د. عبد الملك مرتاض /٨٢ .
(٧٥)أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث : توفيق الزيدي /٧٣ .
(٧٦)اسلوبية الرواية مدخل نظري : حميد لحمداني /١٤ .
(٧٧)معايير تحليل الاسلوب : ميكائيل ريفاتير ، ترجمة د. حميد لحمداني /٦٨ .
(٧٨)ريفاتير والاسلوبية العاطفية : تالبوت . ج تايلر ، ترجمة فاضل ثامر ، مجلة الثقافة الاجنبية، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العدد (١) ، ١٩٩٢م /٥ .
(٧٩) رسائل القاضي الفاضل /١٢١ .
الوزير: هو وزير الدولة العباسية ظهير الدين بن العطار (ت٥٧٥هـ) .
(٨٠)المصدر نفسه /١٤٢ .
مجد الدين بن الصاحب : هو أبو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله بن الصاحب تولى منصب أستاذ دار الخلافة في بغداد سنة (٥٧١هـ) .
(٨١)المصدر نفسه /١٩٨ .
الملك العــادل : سيف الدين أبو بـــكر اخو السلطان صلاح الدين توفي سنة (٦١٥هـ) .
(٨٢)المصدر نفسه /٢٠١ .
(٨٣)أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث : توفيق الزيدي /٨٣ .
(٨٤)رسائل القاضي الفاضل / ١٠٨ .
زين الدين : أبو الحسن علي بن ابراهيم بن نجا الواعظ الانصاري (ت٥٩٩هـ) .
(٨٥)رسائل القاضي الفاضل /١١١ .
(٨٦)المصدر نفسه /١٠٤ .
(٨٧)المصدر نفسه /١٦٧ .
الابرنس : أرناط الذي تولى الحكم في الكرك قتل على يد صلاح الدين بعد تحرير القدس سنة (٥٨٣هـ) .
(٨٨)المصدر نفسه /٢٢٤ .
(٨٩)المصدر نفسه /١٩٥ .
(٩٠)المصدر نفسه /٢٣١ .
(٩١)المصدر نفسه /٣١٢ .
(٩٢)المصدر نفسه /١١٦-١١٧ .

مؤيد الدولة بن منقذ : هو شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن نجم الدولة بن محمد بن منقذ (ت٦٠٠هـ) .

(٩٣)المصدر نفسه /١٢٥ وما بعدها .
(٩٤)المصدر نفسه /١٨٤ .
(٩٥)المصدر نفسه /١٠٣ .
(٩٦)المصدر نفسه /١٠٧ .
(٩٧)المصدر نفسه /١١٠ .
(٩٨)المصدر نفسه /١٨٨ .
(٩٩)المصدر نفسه /١٨٣ .
(١٠٠) المصدر نفسه /١٨٧ .
(١٠١) النص- علم النص ، اشكالية التعريف : محمد ساري ، الأقلام ، بغداد ، العدد (٣) ، ٢٦/١٩٩٨ .
(١٠٢) المنهجية البنيوية والنقد الأدبي : فؤاد المرعي ، خالد أعرج ، بحوث جامعة حلب، العدد (٢٠) ، ١٩٩١م /٦٦ .
(١٠٣) رسائل القاضي الفاضل /١٦٣ .
(١٠٤) المصدر نفسه /٢٣١-٢٣٢ .
(١٠٥) المصدر نفسه /٢٦٧-٢٦٨ .
(١٠٦) المصدر نفسه /٢٥٤ .
(١٠٧) المصدر نفسه /١٣٧ .
(١٠٨) جدل اللفظ والمعنى دراسة في دلالة الكلمة العربية : د. مهدي اسعد عرار /١٩ .
(١٠٩) الصورة الشعرية : سي . دي . يوس ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي ، مالك ميري ، سلمان حسن ابراهيم /٢٣ .
(١١٠) الأسلوب : احمد الشايب /٢٣٦ .
(١١١) رسائل القاضي الفاضل /١٢١ .
(١١٢) المصدر نفسه /١٥٦ .
(١١٣) المصدر نفسه /٢٣١ .
(١١٤) كتاب الطراز : يحيى بن حمزة العلوي ٢٧٣/١-٢٧٤ .
(١١٥) دلائل الاعجاز : أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق : د. ياسين الأيوبي / ٤١٤.
(١١٦) رسائل القاضي الفاضل /١١٢ .
(١١٧) المصدر نفسه /١١٨ .
(١١٨) المصدر نفسه /٢٠٤ .
(١١٩) جماليات الأسلوب : د. فايز الداية /١١٩ .
(١٢٠) مفتاح العلوم : ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ) تحقيق : اكرم عثمان يوسف /٥٩٩ .
(١٢١) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي /٣١٣ .
(١٢٢) رسائل القاضي الفاضل /١١٣ .
(١٢٣) المصدر نفسه /١٥٢ .
(١٢٤) المصدر نفسه /٤٨ .
(١٢٥) المصدر نفسه /١٣٨ .
(١٢٦) المصدر نفسه /٢٣٣ .
(١٢٧) المصدر نفسه / ٢٣٥ .
(١٢٨) ديوان أبي الطيب المتنبي : تحقيق د. عمر الطباع /٣٥٦ .
(١٢٩) رسائل القاضي الفاضل / ٢٥٤-٢٥٥ .
(١٣٠) المصدر نفسه /٢٨٠ .
(١٣١) المصدر نفسه /٣١١ .
(١٣٢) الأسلوب : أحمد الشايب /٢٣٩ .
(١٣٣) رسائل القاضي الفاضل / ١٦١ .

(١٣٤) المصدر نفسه /٢١٤.
(١٣٥) المصدر نفسه /٢٥٩ .
(١٣٦) المصدر نفسه /٢٦١ .
(١٣٧) المصدر نفسه /٩٨ .
(١٣٨) المصدر نفسه /٢٣٤-٢٣٥ .
(١٣٩) المصدر نفسه /٢٤٦ .
(١٤٠) مقدمة في النظرية الأدبية : تيري ايغلتن ، ترجمة : ابراهيـــم جاسم العلي /١١٢ .
(١٤١) الفن ومذاهبه في النثر العربي : د . شوقي ضيف /٣٧٠ .

المصـــادر والمراجــع

أولاً – القرآن الكريم .

ثانياً – الكتـــب :

١- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث : توفيق الزيدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس، ط١ ، ١٩٨٤م .
٢- اسلوبية الرواية مدخل نظري : حميد لحمداني ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٩م .
٣- الأدب العربي : فواز الشعار ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .
٤- الأسلوب : أحمد الشايب ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٦ ، دون تاريخ .
٥- الأسلوب : د. محمد كامل جمعة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٣م .
٦- الأسلوبية منهجاً نقدياً : محمد عزام ، دمشق ، ط١، ١٩٨٩م .
٧- الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٧ ، ٢٠٠٧ م .
٨- الايضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .
٩- البصائر والذخائر : أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : د. ابراهيم الكيلاني ، مكتبة اطلس ومطبعة الانشاء ، دمشق ، الجزء الاول ، ١٩٦٤م .
١٠-تاريخ الأدب العباسي : رينولد انكلسن ترجمة وتحقيق : د. صفاء خلوصي، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٦٧م .
١١-تحاليل أسلوبية : محمد الهادي الطرابلسي ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ١٩٩٢م .
١٢-جدل اللفظ والمعنى دراسة في دلالة الكلمة العربية : د. مهدي أسعد عرار ، دار وائل للنشر ، عمّان ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
١٣-جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠م.
١٤-جماليات الاسلوب : د. فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠م .
١٥-دلائل الاعجاز : أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق: د. ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .
١٦-ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق : د. عمر الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، دمشق ، دون طبعة ، دون تاريخ ، المجلد الثاني .
١٧-رسائل القاضي الفاضل : دراسة وتحقيق : د. علي نجم عيسى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
١٨-الرواية وصنعة كتابة الرواية : ترجمة سامي محمد ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العدد (٩٩) ،١٩٨١م .
١٩-شذرات الذهب في اخبار من ذهب : الحنبلي ، بيروت ، دون طبعة ،١٩٧٩م ، الجزء الثالث .
٢٠-الشعر والشعراء : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : د. عمر الطباع ، شركة دار الارقم بن ابي الارقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م.
٢١-الصورة الشعرية : سي . دي . يوس ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي ، مالك ميري ، سلمان حسن ابراهيم ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢م .
٢٢-علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : د. صلاح فضل ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دون طبعة ، ١٩٩٢م .
٢٣-علم البديع : د . بسيوني عبد الفتاح فيود ، دار المعالم الثقافية ، الاحساء ، ط٢ ، ١٩٩٨م .

٢٤- علم الدلالة السلوكي: ترجمة مجيد الماشطة ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العدد (١٧٩) ، ١٩٨٦م .
٢٥- علم الدلالة (علم المعنى) : د. محمد علي الخولي ، دار الفلاح للنشر والتوزيع ، عمّان ، ٢٠٠١م .
٢٦- فن التقطيع الشعري والقافية : صفاء خلوصي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٦م .
٢٧- الفن ومذاهبه في النثر العربي : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٦٤م .
٢٨- كتاب الطراز : يحيى بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون طبعة ، الجزء الاول ، ١٩٨٠م .
٢٩- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب :محمد خطابي ، ط١، بيروت ، ١٩٩١م .
٣٠- اللغة والاسلوب : عدنان بن ذريل ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمّان ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .
٣١- اللغة واللون : د. أحمد مختار عمر، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ،١٩٨٢م .
٣٢- اللون : محمد يوسف همام ، مطبعة الاتحاد ، مصر ، ط١ ، ١٩٣٠م .
٣٣- المرشد الى فهم اشعار العرب : د. عبد الله الطيب المجذوب ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، الجزء الثاني ، ١٩٥٥م .
٣٤- معايير تحليل الاسلوب : ميكائيل ريفاتير ، ترجمة د . حميد لحمداني ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣م .
٣٥- المعجم الأدبي : جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م .
٣٦- معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، الجزء الأول والرابع ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م .
٣٧- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : مجدي وهبة وكامل المهندس ، بيروت، ١٩٧٩م .
٣٨- معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م.
٣٩- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، تحقيق : اكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢م .
٤٠- مقالات في الاسلوبية : د. منذر عياشي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دون طبعة ، ١٩٩٠م .
٤١- مقامات السيوطي : د. عبد الملك مرتاض ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ط١ ، ١٩٩٩م .
٤٢- مقدمة في النظرية الأدبية : تيري ايغلتن ، ترجمة ابراهيم جاسم العلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢م .
٤٣- النقد والاسلوبية بين النظرية والتطبيق : عدنان بن ذريل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٨٩م .

ثالثا – الدوريات :

١- التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الايقاع والدلالة : سامح رواشدة ، ابحاث اليرموك ، المجلد (١٦) ، العدد (٢) ، ١٩٩٨م .
٢- ريفاتير والاسلوبية العاطفية : تالبوت . ج تايلر ، ترجمة فاضل ثامر ، الثقافة الاجنبية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العدد (١) ، ١٩٩٢م .
٣- الشعرية في نثر نزار قباني ياسين محمود الأقرع ، الموقف الثقافي ، سوريا ، العدد (٣٣٢) ، ١٩٩٨م .
٤- النص – علم النص اشكالية التعريف : محمد ساري ، الأقلام ، بغداد ، العدد (٣) ، ١٩٩٨م .
٥- المنهجية البنيوية والنقد الأدبي : فؤاد المرعي ، خالد الأعرج ، بحوث جامعة حلب، العدد (٢٠) ، ١٩٩١م .

Letters of AL – Qaathi AL- Fadhil : A Stylistic Study

Basim Nadhim Sulaiman
Assistant Instructor
College of Education / Kirkuk University

ABSTRACT

Letters are considered an important prosal literary art; but they did not receive ample care by researchers and critics in spite of their literary and historical significance. Besides, they are characterized with a fascinating style and they involve rhetoric treasures. These reasons have stimulated me to tackle this topic according to the stylistic method.

The study is divided into a prelude and four concise sections. The prelude is dedicated to show the biography of 'al-Khadhi al-fadhil' and the concept of stylistics as well as a short introduction to the letter. The first section deals with the rhythmic aspect; the second with the semantic aspect; the third with the structural aspect and the forth with the rhetoric aspect. The study ends with the main conclusions arrived at in the research.